

مفهوم الفضاء وتمثلاته الاجتماعية

الأستاذة: عكروت فريدة

جامعة عبد الحميد ابن باديس

-ملخص:

الفضاء كلمة تحمل معاني عديدة ومرادفات كثيرة تعطيها وظيفة واستعمالا حسب السياق، تجدر الإشارة في البداية إلى أن مفهوم الفضاء بمعنى المكان الذي يتم التعامل فيه من حيث السياق الذي يتواجد فيه ، فهو إما حيزا أو مكانا أو فضاء، لا يمكن تحديده إلا في إطار الثقافة والمرجع التاريخي والحضري، لذا فإن أشكال تمثل الفضاء حسب تموضعه في العملية الاتصالية مهم جدا لتحديد تمثله الاجتماعي. إن النموذج الثقافي لمفهوم الفضاء يكون حسب إستخداماته في الثقافات المختلفة والتي هي على الأغلب غير معلنة أو غير معروفة. كما أننا سنعرض كيف أنّ تاريخية المكان تحدد التقليد في السلوك من خلال القيم السائدة.

Abstract

Space Word carries many meanings and many synonyms given function and used depending on the context, Be noted at the outset that the concept of space in the sense where it is treated in terms of the context in which it exists, it is either a space or a place or space, can only be determined in the context of culture and historical reference and urban, so the shapes representing space by positioning in the communicative process important to determine social stands. Cultural model of the concept of space is by using in different cultures, which are often unstated or unknown. We'll show how to set place historical tradition in behavior by the dominant values.

الفضاء كلمة تحمل معاني عديدة ومرادفات كثيرة تعطيها وظيفة واستعمالا حسب السياق، فقد نستعمل كلمة فضاء بالنسبة للحديث عن الفضاء الخارجي مثل الفضاء خارج الكرة الأرضية كما يقصد بالكلمة تحديدا للمكان فنحدد أنه فضاء لممارسة نشاط ما. أما بالفرنسية فنقصد به *L'espace* المكان أو *endroit ou place* كما يمكن أن نقصد به البعد *la distance* كأن نقول: " *il ya le même espace entre chaque point* "، فالفضاء هو ذلك المكان أو المجال المادي والمعنوي المفتوح أمام الأفراد من أجل الإستفادة المشتركة في النشاط لتحقيق المعنى المشترك، حيث يتخذ الأفراد في الفضاء المعين سلوكيات معينة حسب الوضعية التي يتواجدون فيها (أي حسب طبيعة الفضاء) يتفاعلون ويتبادلون الآراء، المواقف والاتجاهات، ينشئون بذلك فضاءً حيويًا ذا دلالة لجميع المتدخلين فيه وذا منفعة مشتركة يستعملونه لبلوغ أهداف وغايات معينة.

الفضاء كحيز مكاني لا فائدة منه إذ لما يستغل ويوظف لتبادل الآراء والأفكار والاتجاهات والنقاشات والتفاعل بين الأفراد رمزيا ومعنويا، حيث يحدد ذلك الديناميكية الاجتماعية لأفراد المجتمع، فالمدرسة فضاء عمومي وكذا المسجد والسوق والحديقة والحمامات والزوايا ومؤسسات الدولة الخاصة بالتعليم ومرافق الصحة والقضاء والإعلام وكذا المؤسسات التشريعية والتنفيذية والأحزاب والجمعيات والمنظمات والهيئات، ومن هذا المنطلق تعد الجامعة فضاءً عمومياً، يقابل مصطلح الفضاء بالأجنبية *Espace* ويقصد به الفضاء في حد ذاته في معناه الواسع بعيدا عن كل شيء، فضاء العالم الخارجي الحقيقي، أو الكون المعيش والذي يخضع ويخضع له وحدات القياس والأبعاد والمسافات المتعارف عليها ويتجاوزها إلى القياس بالسنوات الضوئية.....، وهو الفضاء الذي يشمل كل ما يحيط بالإنسان بداية من باطن الأرض إلى اللامتناهيات الكونية كالكواكب والسديم والمجرات.... وهو الفضاء الحقيقي الوحيد الموجود والذي يوحى بإنشاء فضاءات جديدة من خلاله ومحاكاة كل الأشياء والأمكنة التي تتحيز فيه لتختص بعدها بعالم الرواية كما توجد فضاءات تتعلق ببعضها البعض تساعد على بلورة بعضها دون أن تلغي خصوصية بعضها. أصر حسن نجمي على ضرورة الانتباه للناقد العربي إلى فرق الهواء القائم بين الفضاء والمكان خاصة بعد ترجمة غالب هالسا لكتاب *Gaston Bachelard la poésie de l'espace* شعرية الفضاء المكتوب بالفرنسية نقلا عن الانجليزية والذي ترجمه بعنوان "جمالية المكان" والذي اعتبره حسن نجمي خيانة لا ترجمة أخلط

فيها المترجم مفهوم الفضاء بمفهوم المكان ليلاقى بذلك كتاب **Bachelard** تهميشا وإقصاء عند ترجمته ⁽¹⁾.

يجب أن ننبه إلى الزاوية الفلسفية التي تقر بفكرة أسبقية الفضاء للوجود عن الأمكنة حيث أعطى الفلاسفة للفضاء الأولوية على الأمكنة لأنه هو الذي يحتويها مهما كانت طبيعة هذه الأمكنة ، فالفضاء سابق للمكان؛ هناك فضاء أولا ومن بعده تأتي الأمكنة لتجد وضعها ضمن هذا الفضاء ⁽²⁾. حيث يدعو أرسطو باعتباره من كبار الفلاسفة لهذه الفكرة حيث يعدّه موجودا ما دام نشغله ونتجّز فيه وكذلك ما يمكن إدراكه عن طريق الحركة التي أبرزها حركة النقلة من مكان إلى آخر وهو مفارق للأجسام المتمكنة فيه وسابق عليها ويفسد بفسادها ⁽³⁾ إلا أن ما كان يفهمه قدماء اليونان وقدماء العرب المسلمون من مفهوم الفضاء ليس ما تفهمه أوروبا النهضة أو أوروبا القرن (19 م)، وليس ما نفهمه اليوم من هذا المفهوم في مجموع استعمالاته وتوظيفاته الإستباقية والأدبية والفلسفية ⁽⁴⁾، وتعد الثقافة مرجعية ثابتة في التاريخ وتتحدد بالفعل والممارسة ⁽⁵⁾ درس وحلل **Habermas** المجتمع الغربي خلال القرن (18) و(17) من خلال التطرق للفضاء العمومي البرجوازي ودوره في تغييره دون أن يعايش ذلك الزمان والمكان.

كما درس ابن خلدون ووصف وحلل المجتمع العربي الإسلامي في مرحلة النزعات الفكرية والدينية والسياسية وهو معاش له في القرن 8 هـ-14 للميلاد، من خلال الفضاءات المادية والمعنوية، السياسية والدينية، الثقافية، الفكرية والعمرانية وذلك لفهم حركية المجتمع ككل. يرى نصر الدين العياضي أن الحديث عن الفضاء العمومي في العالم العربي والجزائر يشكل مغامرة حقيقية لأنه يوجد من يعارض استخدام هذا المفهوم في المجتمعات العربية، هذا الاعتراض نابع من نزعة أساسية تتمثل في الوقوف ضد كل محاولة توظيف مفاهيم غربية عن البيئة العربية الإسلامية لتوضيح ظواهر اجتماعية وسياسية أو تفسيرها ⁽⁶⁾. ينشأ المفهوم وينمو من خلال منظومة تصورات دالة على معاني ورموز محددة مأخوذة من رحم الميادين الفكرية، المرتبطة بالمجال النظري والسياسي النصي واللغوي لأي مجتمع من أجل التواصل والاتصال من أجل الحوار الفكري الإجتماعي، ومن أجل بناء نسق فكري مرجعي، ذلك أن أي مفهوم يساهم في تحديد التصور النظري والإمبريقي لدراسة ظاهرة ما في مجتمع ما وزمان ما.

يقول أ/ محمد محفوظ: "إن الوعي الجماعي الاجتماعي عبارة عن جملة المفاهيم والأفكار والثقافات التي توجه حركية أفراد المجتمع لذلك يختلف الوعي الاجتماعي من مجتمع إلى آخر، باختلاف المفاهيم المهيمنة على المسار الاجتماعي وطبيعة الإنسان إلى تلك المفاهيم والحوافز القصوى التي تخلقها المفاهيم في حياة الناس. لذلك فإن الوعي الاجتماعي هو وليد فهم الناس لتاريخهم وحاضرهم وقيمهم العليا، ونتائج التفاعل البشري مع الأطراف النظرية المتاحة أو المتداولة " (7)، ومن جهته يقول Debray, Régis: "إن المدرسة النظرية ليست فقط مجموعة الأطروحات و قناعات، إنها بيئة حياة وملجأ أمان ومأوى للمساعدة والحماية الاجتماعية، إن الإنتاجات الكبرى والمعتقدات في البشرية هي أدوات ووسائل تنظيم جماعي للتفكير يعني التنظيم، الترتيب" (8) يعرف Habermas الفضاء العمومي على أنه: "الحيز المعنوي الذي يتم فيه عقد النقاشات العامة من أجل اتخاذ القرارات التي تسيّر الشأن العام" (9)، وعليه فكلمة عمومي هي كلمة مشتقة من كلمة عام أي الشأن الجماعي المشترك وهي عكس كلمة "خاص أو شخصي" أو فردي الذي يؤدي إلى منفعة شخصية أو ذاتية. حيث تعني هذه الكلمة بالفرنسية général/public/ le commun ويقصد بها الجمهور كأن نقول: "l'exposition est ouverte au public" (10)،

كما يعرفه Louis Quéré على أنه: "فضاء رمزي symbolique أين يسمح للأفراد بالتموقع و التموضع داخل المجتمع واتجاهه، بالمفهوم يحمل فكرتين: الأولى أنه مجال عمومي للتعبير الحر، ننظر إليه كفضاء للاتصال والثانية أن الأفراد بداخله يبرزون آراءهم خلال النقاش العلني، بحيث يلجأون إلى استعمال دلالات عقلانية في محاولة إيجاد حلول مناسبة للمسائل العامة" (11)، أما مدرسة شيكاغو وعلى لسان Richard Semret فترى أن الفضاء العمومي هو ذلك المكان أين نجد الإشارات والرموز تحت تصرف الأفراد الذين يقومون بترجمتها وتأويلها من أجل بناء علاقات تبادلية بينهم، كما أن هذا النوع من الفضاءات هو تلك: "العلاقات المبنية بين الأفراد المعروفين بذواتهم وبأفعالهم في المجتمع حيث يبنون هذه العلاقات من أجل التفاهم والتعاون الاجتماعي" (12).

يتبنى من جهة أخرى Wolton Dominique فيعرفه على أنه: "مجموعة المسارح والساحات كمؤسسات أين تتبلور وتوضح وتفرّز فيها مجموعة من الأفعال الموجهة سياسيا والتي تتم فيها المشاركة الجماعية، أين تلتقي أشكال الفضاء السياسي

والفضاء الاجتماعي" ⁽¹³⁾، ويعرفه Pierre Chabat على أنه: " فكرة موجهة بطريقة إعلامية بين المجتمع المدني والدولة، بين الإجماعي la sociabilité والمواطنة بين الخاص والعام بين الأخلاق والسياسة " ⁽¹⁴⁾.

من جهتنا نرى أن الفضاء يمكن أن يكون أقرب إلى تحقيق كل هذه التقاطعات بين العام والخاص من خلال عمليات الاتصال التنظيمي التي تحددها طبيعة الفضاء الأكاديمي، وبين الإعلام والسياسة على أساس أنه فضاء تمارس فيه عملية الإعلان عن الاتجاهات السياسية بطرق مختلفة أهمها التنظيمات الطلابية، ومن جهة أخرى أنه فضاء يضم مستويات اجتماعية مختلفة من منطلق أنه فضاء يجمع بين فئات المجتمع المختلفة، في غياب خيارات (بدل أن نقول طبقات) أخرى كالجامعات الخاصة، على أساس يمكن التوقع بسلوكات مختلفة نسبة للمراجع السوسيوثقافية المختلفة وإعطاء عينة (نموذج un modèle) من السلوك المختلط بين الريفي والحضري، وبين البدوي والمتطور، فالعلاقات بين الأفراد كانت تربطها (أو تفرضها) المكانة الاجتماعية ولا تزال الطبقية ولكن بأشكال مختلفة الآن، حيث يظهر أن مفهوم الطبقات قد ولى، ففي القديم كان الانتماء إلى المدينة أولاً، العبيد والملوك، وهي آليات تغيرت بالنسبة للمجتمع البرجوازي في القرن 18 م فالمدينة في الخطاب الاجتماعي المعاصر انزلت فيها مفاهيم التمدن urbanité الاجتماعي sociabilité والمواطنة.

تقول Arendt Hannah أن: " إضفاء صفة العمومية على الفضاء يوضح تبادل الآراء والأفكار حيث أن فكرة الرأي العام أصبحت مرتبطة بمفهوم الفضاء العمومي" ⁽¹⁵⁾. إذن يرى العديد من الباحثين أنه لا يجب توظيف مفاهيم أنتجها الواقع والفكر الغربي على المجتمعات العربية الإسلامية لاختلاف البيئتين المنتجتين للمعاني والسلوكيات والأفكار على مستوى الأهداف، التحليل والمبدأ، إلا أننا نرى أن الفكر العربي فقير في إنتاجاته في الوقت الراهن وهو ما أجبر المفكر العربي على اللجوء إلى ما أنتجه الفكر الغربي، إلا أن الأمر لا يتعلق بعملية اللجوء وإنما يتوقف على عملية التكيف والقبولية وحسن الاستعمال والتموضع الإستيمولوجي للموضع وأرجأته.

إن فكرة الفضاء العمومي تبلورت مع تطور المجتمع البرجوازي الأوروبي الذي عرف ابتداء من القرن (18) م تغييرات جذرية على مستوى العلاقات بين الفئات الاجتماعية المكونة له على مستوى العلاقات بين الطبقة السياسية والطبقة البرجوازية وعلى مستوى الإنتاج المادي والمعرفي، من وسائل الإنتاج الصناعية إلى

وسائل الإنتاج الفكرية. وهنا يفرق **Habermas** بين السلطة الاتصالية وسلطة الاتصال **communicationnel pouvoir** والسلطة الإدارية أو سلطة الإدارة، فيميز بينهما انطلاقاً من حضور أو غياب السيطرة⁽¹⁶⁾ **la domination**. وعليه فالسلطة الاتصالية عند هابرماس تمكن من تكريس الإرادة الشعبية التي تعتبرها تصوراً معيارياً **normatif** للفضاء العمومي⁽¹⁷⁾ تأكيداً منه على أن الشعب هو المانح الأول لشرعية الحاكم وللسلطة السياسية، لذلك يقول أن الفضاء العمومي تصور عقلاني مرتبط بالسلطة والممارسة الجماعية، التمثيل والشرعية وهو يعمل على تهذيب السياسة ونقدها ويبحث عن تجسيد سلطة الأفراد والجماعات⁽¹⁸⁾ على أساس أن هاتين السلطتين يوجد بينهما علاقة ترابطية، أن الواحدة منها في حاجة للأخرى. حيث يقول **Habermas**: "كلٌّ من السلطتين الاتصالية والإدارية، مكملتان لبعضهما البعض فالأولى تمنح الشرعية للثانية والثانية تؤخذ من الإرادة الشعبية المؤسسة والمجدة في النظام السياسي.

الأولى تعمل على توجيه المجتمع، والثانية تأخذ مسؤولية اتخاذ القرارات بتنفيذ التوجيهات المأخوذة بطريقة ديمقراطية⁽¹⁹⁾ ذلك أن الاتصال هو أساس الحوار، المفاهيم والنقاشات الحرة والعامة، والتي هي بحاجة إلى فضاء تتم من خلاله عملية التبادل والتواصل الاجتماعي حيث يرى **Habermas** أن السلطة الاتصالية تتطلب وبخاصة إلى فضاء عمومي من أجل الوجود⁽²⁰⁾. فالفعل والمعنى الاتصالي كان وما زال الميدان أو الوسط الذي يسبح فيه الفضاء العمومي، فهذا الميدان أمر يشغل فكر العلوم الاجتماعية لأنه من الملاحظ أن تطور العلوم الاتصالية² من حيث تناولها من الجانب النظري الفلسفي والفكري كانت متعلقة بتطور الفعل الاتصالي للاتصال والمجتمع، وهذا ما طرحه مثلاً **Habermas** في كتابه **«l'agir communicationnel»** **paris 1987** حيث ورد في ص 91 أن عملية التفسير البراغماتي الرسمي لمفهوم النشاط الاتصالي مرتبط مباشرة بالنشاط اللغوي، وفي هذا الكتاب يدعو **Habermas** إلى مجتمع اتصالي مثالي وإلى ما يسمى بالعقلانية الاتصالية **la communauté de la communication idéale et la rationalité ensemble**.

وعليه تعتبر معيارية الفضاء العمومي عند **Habermas** تأخذ بعين الاعتبار المستوى الإستمولوجي والنموذجي المطالب الأساسية لعقلانية الاتصال وكيفية استعمالها، لذلك يعتبر المعيار شرطاً أساسياً لنظرة نقدية له بدل أن تنظر للمجتمع كما هو عليه وتقوم بتحليله ونقده (بمعنى نقد الحقيقة الاجتماعية)

فالمجتمعات تطورت في كل الميادين المؤسسية، التنظيمية والتركيبية، الاجتماعية والسياسية والاتصالية والفكرية وكذا التكنولوجيا التي أفرزت أوضاعا ووضعا ووظائف وأدوار جديدة للمجتمع والأفراد، الأمر الملاحظ في الجامعة، والتي كان ينظر إليها بالمنظور الجمعي الاجتماعي على أنها فضاء علمي يفرز أفراداً وجماعات علمية تساعد وتعمل على حل مشاكل المجتمع وتطويره، وأصبح ينظر إليه على أساس أنه فضاء يعمل على امتصاص البطالة.

اعتبر إذن **Habermas** الفضاء العمومي عنصرا أساسيا من المنظومة الديمقراطية للمجتمع، على أساس أنه العنصر الأساسي لدراسة التحركات الاجتماعية والضرورة التاريخية للمجتمع، وعن مفهوم المصطلح سيميائيا، لقد سعى السيميائيون إلى إعطاء الفضاء مفهوما خاصا به، حتى لا يلتبس بغيره، وكانت أولى البدايات مع السيميائي **Youri Lotman** الذي يرتبط مفهوم الفضاء عنده بمفهوم العمل الفني، وقد حدده على أنه مجموعة من الأشياء المتجانسة المتماصة (من الظواهر والأحوال والوظائف والأشكال أو الوجوه والدلالات المتغيرة.... الخ). والتي تربط بينهما علاقات شبيهة بالعلاقات الفضائية المعتادة أو المتعارف عليها كالاتصالية والبعد.... الخ. وإذا اعتبرنا أن هذه الأشياء المذكورة تمثل فضاء، فلا بد أن نجدها من كل خصائصها الأخرى، ما عدا تلك التي تعرفها العلاقات ذات المظهر الفضائي والتي تؤخذ بعين الاعتبار⁽²¹⁾ وهذا يتحدد الفضاء عند **Lotman** من خلال العلاقات الفضائية مجتمعة (الأمكنة والأحداث، الشخصيات...)، في حين تحدث كل من **A. j. Gréimas** و **J. Courtés** حول مصطلح الفضاء الذي استعمل سيميائيا بمفاهيم مختلفة يجمع بينهما قاسم مشترك يتمثل في اعتبار الفضاء موضوعا مبنيا⁽²²⁾.

-الفرق بين الفضاء والمكان :

من الباحثين من يعتبر الفضاء عالما متناها بالنسبة للباحث السيميوطيقي يمكن حصره في مكونين بنيويين هما المكان والزمان⁽²³⁾. وهناك من يرى أن مجموع الأمكنة هو ما يبدو منطقيا أن نطلق عليه تسمية فضاء، ذلك أن الفضاء أشمل وأوسع من معنى المكان، وهذا المعنى المكان هو مكون للفضاء ومادامت الأمكنة غالبا ما تكون متعددة ومتفاوتة فإن الفضاء هو الذي يلفها جميعا بما فيها الأحداث التي تكون فيه، فالمكان يسعى إلى تشكيل الفضاء وليس العكس. من جهته يعد **Poulet** من السابقين إلى إظهار طبيعة العلاقة التي تربط المكان بالفضاء حيث قال أن: " الأمكنة عبارة عن جزر متنقلة داخل الفضاء، وهي أكوان صغيرة على حدة⁽²⁴⁾. فالمكان

يتداخل مع أمكنة أخرى سواء بإدراكها حسياً أم بواسطة تجريبها ذهنياً حيث أشار Hume بوصف المكان أنات وكل (أنا) تندمج في نظام لعلاقات مكانية تشكل عنقوداً مكاناً⁽²⁵⁾. يقول متران أن المكان يبني الفضاء فيرى أنه لا يكون المكان كقطعة القماش بالنسبة إلى اللوحة، بل يكون الفضاء الذي تضعه اللوحة⁽²⁶⁾. يرى حسن نجمي أنه ربما كان المكان أو العلائق بين أمكنة أحد أسس هذه الفضائية التجريدية لكنها ليست هي كل شيء عند تحديد الفضاء كما ينبغي له لأن هذه التفاصيل الطبوغرافية لأسماء وعلائق الأمكنة، المشاهد الجغرافية، الحضرية والطبيعية للتأثير والديكور. ليس لها سوى لعب أدوار ثانوية ضمن بنية الفضاء لأن مفهوم الفضاء أكثر انطلاقا و شساعة من مثل هذه التحديات الضيقة وإلا ماذا نقول بالنسبة للفضاء، الحلم، الموت، الذاكرة والهوية.... إلخ⁽²⁷⁾ التي يقصد بها هنا تجليات الفضاء الذهنية والنفسية، في حين تمثل (الساحات، الشوارع والبيوت..) الفضاءات المرجعية التي تحيل على معرفة منظمة أو تحيل على أشياء مادية لها دلالات معروفة لدينا.

على العموم قدمت لنا مختلف هذه التعاريف صورة شبه دقيقة على ما نحاول دراسته من خلال هذه المحاولة العلمية ، فقد اتخذنا مفهوم الفضاء في هذه الدراسة على انه المكان و الحيز الإنساني الحاوي للعادات والتقاليد والصيغ الفكرية كمظهر أساسي يحدد الوظيفة الأساسية للمكان ، على أساس أنه عنصر هام لفهم طبيعة تفاعل الإنسان مع -الفضاء ،المكان- وسلوكه فيه، فهو عامل أساسي لتحريك البنية الحضارية للمجتمع ، يحقق الهوية الحضارية و التي يُشأنها التنظيم الإدراكي للأفراد والذي بدوره يهيأ وسائل الاتصال والتفاعل والعلاقات الإنسانية مع مختلف الأشياء الموجودة في محيطهم. يحقق ذلك التوازن بين الذات وما حولها ، فالفضاء أو المكان لا يصبح ذا معنى إلا عندما يشعر الفرد بالانتماء إليه .

01-الإنسان والفضاء:

إن مشكلة تمثل فضاء (المكان) في مجتمع خاص تتموضع حول مفهوم السلوك والاتصال داخل هذا الفضاء الذي يهيكله علاقة الإنسان بهذا الفضاء وبصورة أوسع بالمجتمع الذي يتواجد فيه كعنصر فاعل. يحمل كل فضاء خصوصية ما يمارس فيه، وكيف يتم التعامل داخله من خلال الحدود التي يرسمها ويرتسمها في أذهان من يترددون عليه⁽²⁸⁾. وعليه تعتبر علاقة الإنسان بالفضاء(المكان) علاقة دينية واجتماعية و نفسية واقتصادية وأدبية وعلمية

وسياسية وثقافية وقد يرتبط الإنسان بالمكان بأكثر من علاقة، والعلاقة الدينية هي العلاقة الأقوى التي تتبعها سائر العلاقات الأخرى كالنفسية والاجتماعية والأدبية والاقتصادية والسياسية والعلمية والثقافية عامة، فمنذ الأزل والإنسان يجهد نفسه في استيعاب المكان وإدراكه وفهم الزمن ومجرياته. وأثمرت جهوده هذه العلوم جميعا. فالبعض قد ركز على الطبيعة ومكوناتها، والآخر انصب اهتمامه على الإنسان ونشاطاته ومنهم من حاول سبر أغوار الإنسان لفهم كنهه، والبعض حلق في أجواء فكرية تنأى عن المكان والزمان قصد فهمهما. وفي جميع هذه الحالات كان الإنسان وخدمته هو الهدف المعلن وغير المعلن (أفرادا ومجموعات). هدف الإنسان المكان لأنه يعيش فيه وينشط، ويدرس الزمن لأنه من نتائج حركة الإنسان والمادة (الطبيعة والكون) وتفاعلهما مع بعض. يشير محمد علي المحمود في مقال له عن جدلية الإنسان والمكان إلى أن عنصر المكان " لا يقتصر على دراسة الجغرافيا، وإنما يشمل الواقعة الاجتماعية ككل (29).

ركز عمر منيب إدلبي على تبادلية التأثير بين الإنسان والمكان، حيث يقول " إذ يسهم المكان في تشكيل وعي الإنسان بوجوده، ويطلع فكره وهويته - وقبل ذلك كله فيزيولوجيته - بطابعه فيما يسهم الإنسان في إضفاء خصائص إنسانيته على المكان بتبدل صفاته وبنيته، وأنسنة فضائه ، وهذه العلاقة التأثيرية المتبادلة تتحول بفعل التعود على مر الزمن إلى علاقة حميمة، يترك هدمها أو قمعها أثارا كارثية على الطرفين فشخصية المكان يرسمها الإنسان وخصائصه، وسماته تتحدد بنسب متباينة بالمكان. ولا يعني هذا الاعتقاد بالحتم الطبيعي (الجغرافي) بل إن التأثير موجود (سلبا وإيجابا) ولكنه ليس العامل الوحيد والحتمي، إنه يتفاعل مع عوامل أخرى ذاتية وموضوعية في جدلية صارخة أحيانا وهامسة أحيانا كثيرة. يقول الإدلبي " ولما كان للمكان حضوره المؤسس والبناء لعلاقات المجتمع بفعل تفاعل الإنسان مع محيطه الجغرافي وأشياءه، فإن للإنسان بالمقابل دوره في تشكيل القيم الخاصة بهذا المكان عبر مجموعة العلاقات والسلوكيات الإنسانية التي تصبح فيما بعد رموزا دلالية تشكل في مجموعها صفات مكان ما هناك الكثير من الأمثلة عن تباين القيم الخاصة بين سكان المناطق المختلفة حيث رسمها المعنيون بالقيم الاجتماعية وتمحورها مكانيا كجزر حضارية (البعض يسميها ثقافات فرعية، وتقود نشاطات المجتمع وقيمه، العليا منها على وجه الخصوص، وتتجسد واقعا بالتراتبية الاجتماعية التي تصنع المكان والمكانة" (30) (محمد علي المحمود).

01-الدراسات الخاصة بالمكان كبيئة اجتماعية :

نذكر في هذا المقام الدراسة التي قدمها **Robert Park** حول المدينة والتي تضمنها مقاله بعنوان (المدينة) عام (1915) التي تعدّ من الدراسات المبكرة و التي أسهمت في إرساء أسس علم الاجتماع الحضري بوصفه فرعاً من فروع علم الاجتماع يهتم بدراسة المدينة، وذلك ما أكدّه بوضوح مؤلف **Park et Berges** الذي نشر عام (1926) بعنوان (المجتمع المحلي الحضري. يرى **Park** أنّ المدينة ليست تجمعات من الناس فقط، مع ما يجعل حياتهم فيها أمراً ممكناً، بوجود الشوارع والمباني والكهرباء ووسائل النقل والمواصلات. كما أنّها ليست فقط مجموعة من النظم والإدارات مثل: المحاكم والمستشفيات والمدارس والشرطة والخدمات. إنّ المدينة فوق هذا كله، اتجاه عقلي ومجموعة من العادات والتقاليد والعواطف المتأصلة في هذه العادات؛ بكلام آخر أنّ المدينة ليست مكان فيزيقي أو بناء صنعه الإنسان فقط، وإنّما هي نتاج الطبيعة وذات طبيعة إنسانية، ومن ثم هي في النهاية مكان إقامة طبيعي للإنسان المتمدن، لهذا فإنّها تُعدّ منطقة ثقافية متميزة. فأي تجمع إنساني تقوم بين أعضائه روابط الاعتماد الوظيفي المتبادل ويشغل منطقة جغرافية محددة ويستمر خلال الزمن عن طريق ثقافية مشتركة تمكن الأفراد من تطوير أنساق محددة للاتصال والإجماع فيما بينهم كما تيسر لهم سبل التفاعل وتنظيم أوجه نشاطاتهم اليومية، حيث تقوم على اعتبارين اثنين: يختص بتقييم البعد المكاني وبالبعد الزمني، وبالمقابل فإن أصحاب النظرية التفاعلية يبدؤون بدراساتهم للنظام التعليمي من خلال دراستهم للفصل الدراسي (مكان حدوث الفعل الاجتماعي). فالعلاقة في الفصل الدراسي والتلاميذ والمعلم، هي علاقة حاسمة؛ لأنه يمكن التفاوض حول الحقيقة داخل الصفّ، إذ يُدرك التلاميذ حقيقة كونهم ماهرين أو أغبياء أو كسالى. وفي ضوء هذه المقولات يتفاعل التلاميذ والمدرسون بعضهم مع بعض، حيث يحققون في النهاية نجاحاً أو فشلاً تعليمياً.

-المكان كعامل في عملية الاتصال:

إن توضيح الانتماء المادي والمعنوي تكون أهم المرتكزات التي تحدد عليها الهوية الإنسانية، وهي الحالة التي تعطي الشعور بالاطمئنان والراحة والحب...إلخ، كما أن البعد الدلالي للمكان يتشكل عبر السياق الزمني من حياة الإنسان، كما يحدده **Bakhtin**: " الزمن يعد البعد الرابع للمكان" ضمن جدلية العلاقة التاريخية بينهما. والتي تحددها عمليات أساسية:

1- الاستقرار: لا يتوقف على المستوى الحسي، يتغلغل إلى مستويات الذات.

2- التفاعل: ذلك أن المكان يتضمن عمليات التفاعل.⁽³¹⁾

إن علاقة الزمان بالمكان تظهر من مبدأ أساسي لاستمرار الحياة بأكملها، فلا يمكن أن يستغني الواحد عن الآخر، لأنهما في نهاية الأمر ركنان من أركان العملية الاتصالية، يستمدان أهميتهما وقيمتها من شبكة العلاقات التي ينسجها بينهما أولاً، وبين كل منهما وباقي أركان مكونات العملية الاتصالية ذاتها، ثانياً. فجدلية العلاقة بين الزمان والمكان والعملية الاتصالية يقتضي تحديد العلاقة التي تربط بينهما فهما عنصرين فاعلين ومؤثرين في العملية الاتصالية ككل، وخاضعين بدورهما للتأثير. لذلك نظرنا إلى الزمن على أنه جبار وقادر على الفعل، ودليل ذلك في أقوال العرب "فعل به الزمن هذا"، أما المكان فهو ثابت لا يتحرك يرى ويتم ويفعل به من قبل الزمن، ومع ذلك فإن الزمن يفتقر إلى المكان ليرسل من خلاله دلائل وعلامات وجوده.

كما أن المكان كان سببا في تراجع بعض الحضارات أو تقدمها وذلك في علاقته بمفهوم القيمة وهو الأمر الذي كتب فيه عزي قائلاً: «وقد يدخل من أسباب تراجع الحضارة العربية الإسلامية تفكك المكان وفقدان صلة المكان بالقيمة إذا تحول المكان إلى حيز للشقاق وحب السيطرة والخوض في ملذات الحياة الدنيا:» ربما ينطبق ذلك على الحضارة الإسلامية لكنه ليس كذلك بالضرورة في الحضارة الغربية. وقد تكون هذه الصورة دليلاً على أن المكان له دلالات ثقافية وعلى أساس أن الإنسان يتدبر المكان والزمان فإن استعماله لهذين المكونين الثقافيين يعفيه من البرهنة على أن السلوكيات والمواقف تبرمج أو تحدد وفقاً لذلك وتعد أطروحة Hall رائدة في هذا المجال، من أحسن ما قدم هذا الكاتب من خلال كتابين "البعد المحجوب" و"اللغة الصامتة". وفي هذا الكتاب الأخير تطرق لثلاثة عناصر أساسية لها دور كبير في التواصل الغير اللفظي هي الزمان والمكان والثقافة» والتي استنطق فيها المكان بطريقة تجعل المفكر يرى ما لهذا العنصر من أهمية في حياتنا اليومية لما له من وظائف تواصلية.

حديثاً، أدخلت وسائل الإعلام بعداً آخر للمكان، فالمكان لم يعد مرتبطاً بالواقع المعاش ولكن ما يأخذ الفرد رمزياً إلى أمكنة لم يكن ممكناً الوصول إليها لولا الصورة الإعلامية السائدة. واعتبر Macluhan أن وسائل الإعلام قربت المسافات و"ألغت" العائق الجغرافي في العلاقة مع الأحداث التي تشغل بال الأفراد

والمجتمعات. وعامة فقد قل عامل المكان "المعيش" كمتغير أساسي في تغيير ذات الفرد وانتماؤه وشخصيته في المجتمع المعاصر إلى حد كبير. عزى ، وقد يتموضع الفرد في هذه الحالة حول نقاط افتراضية وينتقل إلى أماكن وهمية تنزعه من المكان الذي يتواجد فيه فيصبح واقعه غير الواقع الذي يعيش فعلا ويعيش بمواقع غير موجودة أصلا، مما سموه في علم الاجتماع بالاغتراب، ويعبر عنه بصورة أكثر وضوح عزى قائلا: « فوسائل الإعلام "تقلعه" من هذا المكان وتنقله إلى المكان الرمزي بصفة مستمرة. ويقضي الإنسان المعاصر جل وقته مع هذه الوسائل وكذا في أماكن معلومة محدودة في واقعه كمراكز التسوق والمباني الإدارية والفنادق وقاعات الانتظار والبنائات المغلقة عامة، الشيء الذي يولد ما سماه ألفن توفلر ب " انهيار الجغرافيا" (demise of geography). يضاف إلى ذلك أن الإنسان المعاصر كثير التنقل والهجرة بحثا عن الرقي الاجتماعي. إن انتقال الفرد من مكان إلى آخر لا يمثل فعلا فرديا، بل انتقال شبكة من العلاقات والارتباطات وما ترتب عن ذلك من فقدان البيئة الأصلية والدخول في بيئة فيزيقية جديدة. والحاصل أن كثرة الحركة الاجتماعية وسرعة تبديل الحيز الفيزيقي بفقد الإحساس بالمكان المعيش، وبصبح الفرد على حد قول قلين ورد "بدون مكان" (no place).⁽³²⁾ ضف إلى ذلك أن للعلامات المكانية أثر بالغ في عملية التواصل فهي تتجاوز الكلام وتقف به في مستوى أدنى، يحدد Hall هذه العلامات بما يلي:

أ- الحدودية Territorialité: "هي فعل المطالبة والدفاع عن أرض أو حدود معينة" ويعطي Hall أمثلة كثيرة لتوضيح معنى هذه العلامة. فالكلب مثلا يعبر عن ذلك بامتياز إذ يغير من سلوكاته كلما اقتحم أحد الحدود المرسومة لديه(غير المرئية)، وهناك من الطيور والأسماك التي ترجع سنة بعد أخرى إلى نفس العش أو نفس الصخرة، ومن الأمثلة الدالة على ذلك بالنسبة للإنسان إحساس شخص ما بالضيق والانزعاج إذ خرج للاستراحة خلال محاضرة ما وعند رجوعه وجد شخصا جالسا على كرسيه، والمرأة تحس كذلك بقلق لما تستعمل امرأة أخرى مطبخها ولو كانت من أقرب الناس إليها...

ب- القرب Proximité: له دور كبير في التواصل إذ يدل قرب المباني مثلا في الولايات المتحدة الأمريكية عن سهولة وسلاسة العلاقات بين الجيران إذ للجار حقوق تماما كما للأقرباء. يقول Hall: "في الولايات المتحدة، على العكس من ذلك، يعتبر القرب أساسا جزء كبير من العلاقات...يحاول الأمريكي أن يختار بدقة جيرانه لأنه يعرف أنه

سيدخل في اتصال مباشر معهم".

ت- التنظيم **Organisation**: ليظهر **Hall** دور التنظيم والتوزيع في التواصل يعطي مثالا خاصا بتوزيع الفضاء بين الموظفين الذين يشتغلون في مكتب واحد. فالأمريكيون يوزعون الفضاء بشكل عادل وديمقراطي بين الأشخاص بغض النظر عن التمايزات الاجتماعية، وإذا ما عين موظف جديد بمكتبهم فإنهم يعيدون تقسيم المكان ليأخذ قسطه منه وهذا دليل على ترحيهم به". ويعطي مثالا عن الفرنسيين أما الفرنسيون، فلا يأبهون بالملتحق الجديد، بل يخصصون له مكتبا في مكان مظلم متجها نحو الحائط، وإذا كان الموظف الجديد أمريكيا فسيحس بالإحباط والقلق لأن المكان مكنه من فهم رفض الآخرين له وهذا دليل واضح وقوي على دور المكان ودور الثقافة في التواصل.

ث- الاتجاه **Orientation**: لا تفضل الثقافة الأمريكية اتجاها عن آخر، لكن يكتسي الاتجاه أهمية كبرى في ثقافات أخرى، نلاحظ أن بعض الاتجاهات مقدسة أو مفضلة".

ن- المسافة **Distance**: تدل المسافة بين المتخاطبين، قربها أو بعدها، على علاقات حميمة، شخصية، اجتماعية أو عامة. كما يمكنها لوحدها أن تعبر عن العنف أو المواجهة أو راحة المتخاطبين أو قلقهم.⁽³³⁾

-أولا: إن المكان في القرآن الكريم لم يمثل عنصراً أساسياً من عناصر السرد القرآني؛ وذلك لأن القرآن لا يهدف إلى تقديم عمل فني، بقدر ما يهدف إلى بيان العقائد والشرائع وسوق العبر والتذكرة...

-ثانياً: ينبني على ذلك أن المكان أو أحد تفاصيله عندما يأتي ذكره في القرآن يفسح المجال أمام الخيال لكي يكمل بقية التفاصيل والعناصر المتعلقة بالمكان..

-ثالثاً: ومع ذلك فإن المكان في القرآن الكريم قد أتى على هذا النحو إلا أنه لم يغفله تماماً، بل هناك إشارات تحفز المتأمل وتدفعه دفعا نحو الالتفات إليها وتدبرها فهناك أماكن بعينها أقسم الله سبحانه وتعالى بها، مثل قوله تعالى: {لا أقسم بهذا البلد وأنت حل بهذا البلد}.

-رابعاً: وأيضاً فإن القرآن الكريم لم يقف عند هذا الحد فإنه في كثير من المواضع ذكر المكان بمفهومه العام (المطلق)، فذكر سموات وأراضي وجنان وحدائق ذات بهجة، وألحق هذه الأماكن بأوصاف تلفت عين انتباه القارئ إلى عظيم قدرة الله سبحانه وتعالى في خلق هذه الأماكن وتحويلها من حالة إلى حالة، فاقراً إن شئت

قول الله تعالى: {أمن خلق السموات والأرض وأنزل لكم من السماء ماء فأنبأنا به حدائق ذات بهجة ما كان لكم ان تنبتوا شجرها إله مع الله بل هم قوم يعدلون} (النمل: 60)

-موقع القيم والثقافة في جغرافيا المكان:

إن المكان جزء من القيمة وثقافة المجتمع وتاريخه، والحاصل أن الفرد في المنطقة العربية الإسلامية يعيش نوعا من الاغتراب في مكانه نظرا لانحصار القيمة في العلاقة مع البيئة رغم أن ذلك يختلف من بيئة إلى أخرى ومن حي إلى آخر. فالتركيز في هذا التناول المكاني ما هو المشترك أو السائد في البيئة العربية والإسلامية عامة، ويظهر مثل هذا الاغتراب في اهتزاز العلاقة مع الذات والآخرين والمحيط الفيزيقي. فالسعادة الداخلية والتضامن الاجتماعي وممارسة القيم و"جمالية" المحيط محدودة على اعتبار أن البيئة تتدخل فيها سلبا فلا تجعلها تبرز أو تنمو. كما أن شكل البيئة غير متوازن و"مشوه" وملوث إلى حد كبير، وعادة ما تكون الأماكن الخضراء وأماكن العبادة "أبعد" أو الوصول إليها صعب أو غير موجودة في الحيز الجغرافي المحدود نسبيا. وعمرانيا فإن هندسة البناء لا تعكس النمط القيمي الذي ينتهي إليه الفرد، بل يسمى هذا النمط في الكثير من البلدان العربية والإسلامية ب"البناء الفوضوي"، وذلك على الرغم من وجود أكثر من بيئة فيزيقية في المدينة الواحدة كما أسلفنا. وعامة، فالنوافذ متقابلة⁽³⁴⁾ ومتقاربة الشيء الذي لا يحافظ على حرمة العائلة وخصوصياتها، وكثيرا ما تترك هذه النوافذ مقفلة حفاظا على هذه الحرمة، غم أن دلالة النافذة تعني "المنفذ إلى الخارج". وكانت النوافذ في البناء السكني الأصلي تنفتح على الساحة الداخلية للبيت الذي عادة ما تتوسطه أيضا ساحة داخلية الشيء الذي يحافظ على خصوصية العائلة وتوازنها في العلاقة مع البيئة. كما ازداد الضجيج في البناء الحالي كضجيج الأطفال، وصوت الموسيقى الذي يكون على حساب راحة الجيران. وعامة فإن الحيز السكني "الضيق" لا تأخذ بعين الاعتبار حق الجار في معظم الحالات. ويترتب عن ذلك أن يتراجع الفرد و"يسجن" نفسه في حيزه المكاني، ويعزل نفسه عن الجيران والآخرين على حد أحد الأمثلة الشائعة في منطقة المغرب العربي "اخطا راسي"، أي أن المهم أن لا تمسني الكارثة مباشرة. وتاريخيا، فقد كان المسجد أعلى بناية في البلدة أو القرية إذ إنه يمثل سلطة معنوية عليا، ويكون مركز استقطاب معنويا وفيزيقيا. ومازالت هذه الظاهرة قائمة في بعض القرى النائية، ومن أشهر المدن التي بنيت على هذا النمط مدينة غرداية

بجنوب الجزائر إذ يعلو المسجد وتنحدر المساكن بالتدرج أسفله فيكون المسجد أعلى معلم في المدينة. أما حديثا، فقد تطاول الناس في البنيان وأصبح المسجد بناية من البنايات الأخرى وأدى هذا البناء الفوضى إلى التنافس على حيز فيزيقي محدود إما لأن المكان غير مكلف فيستقطب عامة الناس أو قريب من بعض المرافق الضرورية أو يقع بعيدا عن أعين أصحاب القرار والنفوذ...الخ، فتكدست هذه البنايات ونمت مع تزايد السكان أو أفراد العائلة الواحدة في شتى الاتجاهات وملأت جل المساحات الفارغة وأصبح الحي أشبه ما يكون بـ "الصندوق العجيب" الذي يحتوي على دهاليز وأزقة وخنادق ومنعرجات يصعب الدخول أو الخروج منها بسهولة وغالبا ما تنسد هذه المنافذ أمام السيارات أو الحافلات أو مركبات الإسعاف والمطافئ لضيقها وفوضاها. وأدى الاكتظاظ داخل المساكن إلى الاندفاع نحو الشارع، فيقضي أفرادهم معظم أوقاتهم خارج البيت ويكونون حلقات الجلوس والمحادثة على أركان الشوارع أو المقاهي ويدخلون بيوتهم فقط للنوم آخر الليل. وانعكس هذا الجوع على انعدام الأمن في البيئة سواء تعلق الأمر بالأمن الشخصي أو الأمن على الممتلكات، وكأن حق الإنسان في دمه وماله وعرضه تراجع إلى مستويات دنيوية⁽³⁵⁾ في هذه البيئة. وعادة ما تكون المرافق محدودة في هذا الحيز وأهمها الماء والكهرباء ومجاري المياه والمواصلات والمدارس والعيادات...الخ. ويترتب عن ذلك التلوث وقلة النظافة أو انعدامها أو انتشار الأمراض الجسدية والنفسية وغيرها، يضاف إلى ذلك أن اغتراب الفرد عن حيزه الفيزيقي ولد عدم الاكتراث بالمحيط والإهمال والتسيب الذي انعكس على المحيط والإنسان، ويتصف هذا الحيز السكني بانعدام الجانب الجمالي الذي يمكن أن يبعث في الفرد روح الألفة والتعلق والانتماء، بل إن الحيز يبعث في نفوس أهلها نزعة الإحباط واليأس والنفور. وتنعدم المساحات الخضراء إلا ما ندر. وطالما أن المكان يقيّم ماديا فحسب فإن المساحة الخضراء تعتبر فضاء ضائعا يتعين استغلاله في البناء أو التجارة. وقد تداخل الحيز السكني مع التجارة بشكل لم يسبق له مثيل في تاريخ تطور المكان، فكل بناية يرافقها محل تجاري، فالإنسان لا يبني للسكن فحسب ولكن للتجارة أيضا، وهكذا اختلط الحيز السكني بالحيز التجاري تحت طائلة ومبررات البطالة، وقلة المرافق الضرورية في هذه الأحياء...الخ.

إن إهمال قيمة المكان يمس قيمة الإنسان ذاته، فقيمة الفرد في بيئته الفيزيكية التي تحوي قيمه، هي مصدر التنشئة القيمية والاجتماعية للأجيال الناشئة. فالفرد يحتاج معايشة قيمه في بيئته. إن مثل هذا الطرح ليس بالشئ غير

المألوف فالكثير من المجتمعات المعاصرة أدرجت مبادئها أو فلسفتها في الحياة كمبدأ الخصوصية والفردانية في عمراتها، والعمران⁽³⁶⁾ أحد التعبيرات الأساسية في تحقيق سعادة الفرد والألفة الاجتماعية والانسجام مع البيئة، وما أحوج البيئة الفيزيكية في المنطقة العربية والإسلامية إلى الوعي القيمي إن صح هذا التعبير وإعادة الصلة المفقودة مع هذه البيئة الغنية بالقيم والعبر والتاريخ والانجازات في شتى المجالات.

(37)

يعتبر المكان، أي البيئة الفيزيكية الذي يعيش فيه الأفراد، جزءاً من التكوين الذاتي والاجتماعي والتاريخي في أي مجتمع، ويشمل ذلك:

أ- جغرافيا المكان: التضاريس، كالسهول والهضاب والجبال والصحاري والأنهار والبحار وأحوال الطقس.

ب- القيم والتقاليد التي تحكم العلاقة مع البيئة.⁽³⁸⁾

ت- العمران: المساكن والأزقة والشوارع والحدائق وأماكن العبادة والملاعب والمقابر ومقرات الإدارة والمطاعم والساحات والجسور والسجون والملاهي والثكنات العسكرية والمصانع الخ.

المكان فيه تمازج بين الطبيعة والقيم والثقافة وأنماط التعامل مع البيئة والآخر والعمران، يضاف إلى ذلك تدخل وسائل الإعلام والاتصال كالتلفزيون والمجلات والسينما والصحف والإنترنت في تكوين أنماط من الصور المكانية التي تكون خارج دائرة الواقع المعاش للفرد فتدخل عليه مكاناً رمزياً متباعداً ومألوفاً مع تزايد الارتباط بهذه الوسائل، وتؤدي " كثرة " استخدام وسائل الإعلام وخاصة التلفزيون والإنترنت إلى نوع من " الاغتراب " عن المكان المعاش، والتعلق بالمكان المألوف الجديد الذي تعرضه هذه الوسائل في صور الأفلام والمسلسلات والإعلانات عامة، وبمعنى آخر يصبح المكان الرمزي الجديد هو المكان " الحقيقي "، فيبدو متشابهاً تغيب فيه الخصوصية المكانية، وذلك جزء من العولمة المكانية فالمكان ليس حيزاً فيزيقياً فحسب، بل فضاء يمس شتى مجالات الحياة كالقيم "المكانية"، ونوع العلاقات الاجتماعية وشكل العمران وغيرها، فهناك تداخل بين المكان والجوانب القيمة والثقافية والنفسية والاجتماعية والاقتصادية والسياسية والتاريخية والعمرانية في المجتمع عامة⁽³⁹⁾.

-الفضاء الشخصي:

ثمة اختلافات ثقافية في تعريف الفضاء الشخصي في الثقافة الغربية، يميل الناس إلى الاحتفاظ بمسافة تبلغ نحو متر واحد فيما بينهم عندما يدخلون في حالة التفاعل المركز؛ وقد يتقاربون عندما يصطفون واقفين جنباً إلى جنب. أما في بيئة الشرق الأوسط الثقافية فالناس يتقاربون وتقصّر المسافة بينهم عندما يتجمعون⁽⁴⁰⁾ سوياً. ومن هنا فإن عدداً كبيراً من الغربيين الذين يزورون المجتمعات العربية والإسلامية للمرة الأولى قد يواجهون حالة من العزلة والارتباك عند لقاءهم بأهل البلاد وإدراكهم قصر المسافات التي تفصل بينهم. ويرى Hall (1959-1966) الذي قام بدراسات مكثفة وموسعة عن أشكال التواصل غير الشفوي أن هناك أربعة أصناف من الفضاء الشخصي فالمسافة "الحميمة" التي تبلغ نحو نصف متر لا تشمل إلا عدداً قليلاً جداً من عمليات التواصل الاجتماعي ويشيع استعمالها في أغلب الحالات بين الأفراد الذي يسمح لهم باللمس والتقرب الجسدي بصورة منتظمة مثل: العشاق، الوالدين، والأهل، والأطفال. أما المسافة "الشخصية" التي تتراوح بين نصف متر ومتر واحد فهي المسافة التي تفصلنا عن لقائنا بالأصدقاء والمعارف المقربين، وفي مجالات التفاعل العادية يستخدم على الأكثر الفضاء الحميم والشخصي، وإذا ما اقتحم واحد من هذين المجالين؛ فإن الناس سرعان ما يحاولون استرجاع الفضاء الذين يخصهم وكأنهم يطلبون من الأطراف الغازية أن تعود أو تبتعد عنهم. وإذا ما تعرض الناس لتقارب غير مرغوب فيه فإنهم قد يقومون بوضع حاجز مادي للحيلولة دون اقتحام فضائهم الشخصي، كان يقوم أحد زوار المكتبة العامة بإقامة حاجز من الكتب حول البقعة التي يقرأ فيها لردع الآخرين عن تجاوزها.⁽⁴¹⁾

-الهوامش والإحالات:

¹-محمد اسويتري، النقد البنوي والنص الروائي: نماذج تحليلية من النقد العربي، إفريقيا الشرق، الدار البيضاء، المغرب، ط 1 1999.

²-حسن نجعي، شعرية الفضاء المتخيل والهوية في الرواية العربية، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المغرب، ط 1، 2000 .

³-المرجع السابق .

⁴-المرجع السابق .

⁵-عزي عبد الرحمن، الثقافة وممارسة الاتصال- نظرية قيمية، المجلة الجزائرية للعلوم السياسية والإعلامية، جامعة الجزائر2، كلية العلوم السياسية والإعلامية، شتاء 2002- 2003، العدد 2، ص248.

⁶-فعاليات الملتقى الدولي، إشكالية حضارة المجتمع الإعلامي بالجزائر، جامعة وهران، كلية العلوم الإنسانية والحضارة الإسلامية، قسم علوم الإعلام والاتصال، 14 - 15 مارس 2005

⁷-محمد محفوظ، الفكر الإسلامي المعاصر ورهانات المستقبل، ط1، الدار البيضاء، المغرب، بيروت، لبنان، المركز الثقافي العربي، 1991، ص121.

⁸-روجيس دوبري، ترجمة فؤاد شاهين، جورجيت الحداد، محاضرات في علم الإعلام العام: الميديولوجيا، ط1، بيروت، دار الطليعة، 1996، ص93.

⁹ - Alain Cottureau et Paul Ladriere' pouvoir et légitimité, Paris, édition de l'école des haute études eu science sociale, 1992, p35

¹⁰ - Roger Boutier, Habermas et le champ de la communication, revue cinémactions, édition S F S I C, Paris, corlet N° 36, Mars 1992, p 89.

¹¹ - Louis Quéré, agir dans l'espace public: les formes de 4 action, Paris, édition de L'EHESS, 1990, p 101.

¹² - Ibid, p 102 .

¹³ - Dmominique Wolton, communication politique construction de modèle, revue Hermès N°= 4 le nouvel espace public, Paris, édition CN RS 1989, p 27.

¹⁴ - Pierre Chambat, le rôle de la médiation technique, textes réunir par isabelle Paiuart: l'espace et l'emprise de la communication rendable, édition E L V, 1995, p 67.

¹⁵ - Ibid, Alain Cottureau, Paul Ladriere' pouvoir et légitimité, opcit, p 30.

¹⁶ - Ibid, p 35.

¹⁷ -Ibid, p 8-9.

¹⁸ - Ibid, p 20.

¹⁹ - Ibid, p 39.

²⁰ - Ibid, p 35.

²¹ - Ibid, p 35.

²² - Iouri Lotman, la structure de texte artistique, traduite par Anne Fournier et autres, paris, Galtimard 1973, p 310 .

²³ - Ibid, Greimas A.J. et Courtés J, Dictionnaire raisonné des la théorie du langage, p 132-133.

²⁴ - الطاهر رواينية، شرديات الفضاء الروائي في الجازية والدرائش، مجلة المسألة، ع.ربيع 1991 ص19.

²⁵ - Ponlet, p 51

²⁶ - منصور نعمان نجم الدليبي، المكان في النص المسرحي، دار الكندي للنشر والتوزيع، الأردن، ط1، 1999، ص 19 5.

²⁷ - أحمد زياد محبك، ص 55.

²⁸ - Williams Raymand, communications comme science de la culture in réseaux, (CENT) France, N 80, novembre-decembre 1996, p.p 90-106.

²⁹ - محمد بن علي المحمود، التقليدي. جدلية الإنسان والمكان، جريدة الرياض الخميس 21 رجب 1429 هـ - 24 يوليو 2008 م - العدد 14640 نقلا عن:

Tornqvist, G. , 2004 : Creativity in time - and space . Geogr. Ann. , 86 , B (4) : 227-243 .
Gunnar Tornqvist , Department of Social and Economic Geography , Lund University,
Solvegatan 12 , 223 62 Lund , Sweden,

³⁰ - المرجع السابق، نفس العدد.

³¹ عزى عبد الرحمن، الإعلام وتفكك البنايت القيمة في المنطقة العربية: قراءة معرفية في الرواسب الثقافية، الدار المتوسطة للنشر، ط1، 2009، ص 52.

³² Edward Twitchell Hall, le langage silencieux, traduit de l'américain par Jean Mesrie et Barbara Nineall, edition de Seuil (07-2009).

³³ عزى عبد الرحمن، الإعلام وتفكك البنايت القيمة في المنطقة العربية: قراءة معرفية في الرواسب الثقافية، مرجع سابق، ص 71.

³⁴ المرجع السابق، ص 72.

³⁵ المرجع السابق، ص 73.

³⁶ المرجع السابق، ص 74.

³⁷ المرجع السابق، ص 47.

³⁸ المرجع السابق، ص 48.

³⁹ المرجع السابق، ص 49.

⁴⁰ المرجع السابق، ص 50.

⁴¹ أنتوني غدنز، علم الاجتماع، ترجمة فايز الصباغ، المنظمة العربية للترجمة، ط4، بيروت، 2001، ص 175.